الفصل السادس

إبليس(الشيطان) والإنسان

وفيه مقدمة الفصل ومبحثان

المبحث الأول: بداية العلاقة(المواجهة)

المبحث الثاني: مكايد الشيطان وفيه تمهيد واثنا عشر مطلبا

المطلب الأول: (تزيين الباطل)

المطلب الثاني: (تسمية الأشياء بغير اسمها).

المطلب الثالث: (استحلال المحرمات).

المطلب الرابع: تحريضه للإنسان على تأخير الأعمال الصالحة.

المطلب الخامس: (الوعد والتمنية).

المطلب السادس: (إظهار النصح للإنسان).

المطلب السابع: (تخويف المؤمنين من أوليائه).

المطلب الثامن: (إلقاء الشبهات).

المطلب التاسع: (الزهو والكبر).

المطلب العاشر: (إتباع الهوى)

المطلب الثاني عشر: (التلبيس).

obeikan.com

مقدمة الفصل

بعد أن لُعن وطُرد وبات من المغضوب عليهم، رفع شعار الحكمة التي تقول:(إن البلوى إن عمت هانت وإن خصت هالت)رفع إبليس شعار التحدي لله والانتقام من آدم ومن ذريته من بعده واخذ العهد على نفسه أمام الله أنه سيغوي آدم وذريته أجمعين{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [سورة ص: 82]وأنه لا يستثني من الإغواء إلا عباد الله المخلصين وأنه عليه لعنه الله ليكيدهم ويضلنهم ويزين لهم الباطل ويكره لهم الحق ويدفعهم إلى الأهواء والأوزار ويكره إليه البر والطاعة والإحسان وليتخذن إلى ذلك طرق وحيل وحبائل وكل أنواع الإغراء والإغواء. لذلك سوف نتعرض في هذا الفصل لطرق الإغواء ومكايد إبليس حتى نكون على بينه منها فنتقيها.

المبحث الأول

بداية العلاقة(المواجهة)

قال تعالى:{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{71} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ{72} فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ{73} إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ{74} قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ{75} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ{76} قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ{77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ{78} قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ{79} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ{80} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ{81} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ{82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ{83} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ{84} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}[سورة ص:آيات71إلى85]

أسكن الله (آدم) الجنة، وخلق له أم البشر (حواء) لتؤنسه في وحدته، وأعطاهما مطلق الحرية في الجنة، إلا شجرة نهاهما عن الأكل منها .. قال تعالى:{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ }[البقرة:35].

في حين بقيت النار في داخل (إبليس) موقدة، تبغي الانتقام من (آدم) الذي يراه السبب في طرده من رحمة الرب.. وهو غير مدرك أن كبره وحسده لـ(آدم) هما اللذان أضاعا منه منزلته التي تبوأها بين الملائكة، وضياع الأهم طرده من رحمة ربه.

كانت الجنة محروسة من الملائكة الذين يُحرمون على (إبليس) دخولها كما أمرهم الرب بذلك.. وكان (إبليس) يُمني النفس بدخول الجنة حتى يتمكن من (آدم) الذي لم يكن يغادرها.

فاهتدى لحيلة .. وهي أنه شاهد الحية يتسنى لها دخول الجنة والخروج منها، دون أن يمنعها الحراس الملائكة من الدخول أو الخروج.. فطلب من الحية مساعدته للدخول للجنة، بأن يختبئ داخل جوفها حتى تمر من الحراس الملائكة .. ووافقت الحية، واختبئ (إبليس) داخلها حتى تمكنت من المرور من حراسة الملائكة لداخل الجنة دون أن تُكتشف الحيلة .. وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه. ([224]).

وطلب (إبليس) من الحية أن تكمل مساعدتها له، ووافقت.. وعلم (إبليس) بأمرِ الشجرة التي نهى الرب سبحانه (آدم) و(حواء) من الأكل منها، ووجد أنها المدخل الذي سيتسنى له منه إغواء (آدم) و(حواء) حتى يخرجهما عن طاعة الرب وخروجهما من رحمته تماماً كحاله. ووجد (إبليس) والحية (آدم) و(حواء) داخل الجنة، فأغوى (إبليس) (آدم)، بينما أغوت الحية (حواء) حتى أكلا من الشجرة، بعد أن أوهماها بأنهما من الناصحين، وأن من يأكل من هذه الشجرة يُصبح من الخالدين، ومن أصحاب مُلك لا يُبلى.

وغضب الرب على (آدم) و(حواء) لأكلهما من الشجرة .. وذكرهما بتحذيره لهما: { أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ }[الأعراف:22].

[224]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.مرجع سابق

لم يجدا (آدم) و(حواء) أي تبرير لفعلتهما سوى طلب المغفرة: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[الأعراف23]

وحكم الرب على (آدم) و(حواء) و(إبليس) والحية بعد ما حدث: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }[البقرة:36]

وهبط (آدم) و(حواء) من السماء إلى الأرض وتحديداً في الهند كما ذهب أكثر المفسرين.. في حين هبط (إبليس) في "دستميسان" على مقربة من البصرة .. وهبطت الحية في أصبهان. ([225]).

وتاب الرب على (آدم) و(حواء)، ووعدهما بالفوز بالجنة إن اتبعا هداه، وبالنار إن ضلا السبيل: {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[البقرة:38].

هذا كلام ابن كثير في البداية والنهاية عن كيفية الإغواء والوسوسة وبداية المواجهة وكيفية وصول إبليس لآدم في الجنة ولكن هناك أقوال كثيرة مختلفة هذه الرواية سنوردها هنا من باب إتمام الفائدة.

قال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة.

ودليل ذلك قوله تعالى:{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف:21].[[226]]

وقال البيضاوي: واختلف في أنه تمثل لهما فقاولها بذلك، أو ألقاه إليهما عن طريق الوسوسة، واختلف كيف توصل إلى الوسوسة إليهما بعدما قيل له:{فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} [الحجر:34].

فقيل: إنه مُنع الدخول على جهة التكريم، كما كان يدخل مع الملائكة، ولم يمنع أن يدخل ذليلاً حقيراً ابتلاء لآدم وحواء، وقيل: قام عند الباب فناداهما. وقيل: دخل في فم الحية حتى دخلت به.

---

[225])ابن كثير، (الحافظ ابن كثير الدمشقي)، تحقيق: د. عبد الله التركي، البداية والنهاية طبعة دار هجر، 1419هـ.باب خلق الجان وقصة الشيطان(ج1/ص85 وما بعدها).

[226])القرطبي،الجامع لأحكام القرآن،(ج1 ص 214).

وذكر القرطبي عن عبد الرزاق عن وهب بن منبه قال: دخل إبليس الجنة في فم الحية، وهي ذات أربع كالبُخْتِيَة من أحسن دابة خلقها الله تعالى بعد أن عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله الجنة، فلما دخلت به الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله آدم وزوجه عنها، فوسوس لحواء أولا حتى أكلت منها، ثم أغوى آدم، وقالت له حواء: كل فإني أكلت منها، فلم تضرني، فأكل منها فبدت لهما سوآتهما، وحصلا في حكم الذنب، فقال الله لآدم: اهبط إلى الأرض التي خلقت منها، ولعنت الحية، وردت قوائمها في جوفها، وجُعِلت العداوة بينها وبين بني آدم، ولذلك أمرنا بقتلها... ثم قال: وقالت طائفة: إن إبليس لم يدخل الجنة إلى آدم بعدما أخرج منها، وإنما أغوى بشيطانه وسلطانه ووساوسه التي أعطاه الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم".

وعلى هذا، فإن أهل التفسير قد اختلفوا في الكيفية التي وسوس بها الشيطان لآدم عليه السلام، ولعل الراجح من أقوالهم في ذلك هو ما صدَّر به كثير من المفسرين هذه الأقوال، وهو قول ابن مسعود وابن عباس: أن الوسوسة كانت مشافهة.

واستدلوا لذلك بقوله تعالى: (وَقَاسَمَهُمَا) والمقاسمة ظاهرها المشافهة، وإن دخوله إلى الجنة بعد الطرد منها كان دخول الذليل المحتقر.[227].

((المواجهة على الأرض بين الإنس والجن .. وإبليس يبني مملكته))

كانت الأرض صحراء مقفرة، لكن الرب أعطى (آدم) من ثمار الجنة ليزرعها بعد أن علمه صنعة كل شيء.. وزرع (آدم) ثمار الجنة على الأرض، وأنجب من (حواء) الأولاد، وبقي على طاعة ربه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه.

ولم يُخمد (إبليس) نار عداوته لـ(آدم) رغم ما فعل بطرد أبو البشر من الجنة.. فكان يُمني النفس أن يُحرم عليه الجنة للأبد تماماً كحاله.. لكن ما العمل؟ فهو يرى أن عداوته قد انكشفت، ولم يعد بإمكانهِ مواجهة (آدم) الذي هو على طاعة الرب قائم، غير أن (إبليس) بالأصلِ ضعيف كما أخبرنا سبحانه بذلك:{إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} [النساء76]

227)المرجع السابق.

ولا قوة له إلا على الضالين: قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ{82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ{83}

لذا اختار أن يستخدم سلاحه "الوسوسة"، لكن ليس على (آدم) و(حواء) بل على أبنهم (قابيل) الذي كان يُمني النفس بالزواج من توأمته التي شاء الرب أن يتزوجها أخيه (هابيل) .. فوسوس (إبليس) بـ(قابيل) قتل أخيه (هابيل) فحدث ما حدث من القتل ..... والقصة في ذلك مشهورة.

ووجد (إبليس) بذلك أن ذرية (آدم) هدفه.. فتجنب (آدم) و(حواء) لإيمانهما القوي وتوبتهما العظيمة، ووضع جلَّ أهدافه في ذريتهما التي رآها أضعف أمام الأهواء.. فبدأ شرّه يظهر للوجود وبلا حدود.

ماتا (آدم) و(حواء)، وظن (إبليس) أن موتهما انتهاءً لهروبه من المواجهة، وأن بإمكانه الظهور علناً للبشر وشنّ حربه عليهم، لأنهم ضعفاء لا يقدرون على المواجهة .. فظهر للعلن ومعه خلق من شياطين الجن والمردة والغيلان ليبسط نفوذه على الحياة في الأرض.

لكن الرب شاء أن ينصر بني الإنس على الجيش الإبليسي الذي أسسه (إبليس) من الجن والمردة والغيلان، حين نصرهم برجلٍ عظيم اسمه (مهلاييل) ونسبه هو: "مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث عليه السلام بن آدم عليه السلام" .. ويروى أنه ملك الأقاليم السبعة وأول من قطع الأشجار.

قام (مهلاييل) بتأسيس مدينتين محصنتين هما: مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى، ليحتمي بها الإنس من أي خطرٍ يهددهم .. ثم أسس جيشه الإنسي الذي كان أول جيش في حياة الإنس للدفاع عن بابل والسوس الأقصى، وقامت معركةٌ رهيبة بين جيش (مهلاييل) وجيش (إبليس)، وكتب الرب النصر بها للإنس، حيث قُتل بها المردة والغيلان وعدد كبير من الجان، وفرّ (إبليس) من المواجهة. ([228]).

بعد هزيمة (إبليس) وفراره من الأراضي التي يحكمها (مهلاييل) .. ظل يبحث عن مأوى يحميه ومن معه من شياطين الجن الخاسرين في المعركة ضد (مهلاييل) .. واختار أن يكون

[228]) ابن كثير، البداية والنهاية، باب خلق الجان وقصة الشيطان.مرجع سابق

هذا المأوى بعيداً عن مواطن الإنس، يبني به مملكة يحكمها وتلم شمل قومه شياطين الجن الفارين من غزو الملائكة آنذاك .. فأي مأوى اختار (إبليس) لبناء مملكته؟

طاف (إبليس) في الأرض بحثاً عن المنطقة الملائمة لبناء حلمه.. ووقع اختياره على منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين .. وكان اختياره لهاتين المنطقتين لأسباب عدة هي:

. تقع منطقتي برمودا والتنين على بُعد آلاف الأميال عن المناطق التي يستوطنها البشر آنذاك.

. أراد (إبليس) أن تكون مملكته في المواطن التي فرّ إليها معظم شياطين الجن إبان غزو الملائكة والتي كانت لجزر البحار التي يصل تعدادها عشرات الآلاف.

استغل (إبليس) قدرات الجن الخارقة في بناء المملكة، والتي كان من أهم تلك القدرات التي تلائم طبيعة البحر ما ذكرها القرآن الكريم:{والشياطين كل بناء وغواص} [سورة ص:37]

وبعد ذلك وضع عرشه على الماء، وأسس جيشه من شياطين الجن الذين التفوا حوله في مملكته، ينفذون كل ما يأمرهم به.. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن الشيطان يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئاً، ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيقربه ويدنيه ويقول: نعم أنت))([229]).

ووضع (إبليس) للحيات مكانة خاصة عنده، جزاء ما فعلت له الحية في السماء من مساعدة تسببت في خروج (آدم) و(حواء) من الجنة.. وذلك بأن جعلها من المقربين لعرشه.. في مسند أبي سعيد: عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صائد: ((ما ترى))؟ قال: أرى عرشاً على البحر حوله الحيات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صدق ذاك عرش إبليس)).

وأسس (إبليس) مجلس وزرائه الذين سيقود مخططاته الشيطانية في عالم الإنس.. عن كتاب "آكام المرجان للشلبي" روي عن (زيد) عن (مجاهد) قوله: ((لإبليس خمسة من ولده،

[229]) رواه مسلم.

قد جعل كل واحد منهم على شيء من أمره، ثم سماهم فذكر: ثبر، الأعور، سوط، داسم، زلنبور .. أما ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية .. وأما الأعور فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه، وأما سوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيُخبره بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيتُ رجلاً أعرف وجهه وما أدري أسمه حدثني بكذا وكذا .. أما داسم فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يُريه العيب فيهم ويُغضبه عليهم .. أما زلنبور فهو صاحب السوق الذي يركز رايته في السوق.

ولم يكن (إبليس) وشياطين الجن فحسب من تسنى لهم بناء مملكة قوية، بل أيضاً الإنس بنوا حضارات عظيمة، حتى غدى العالم لبني الإنس قرية صغيرة، ولم يعد المكانين المنعزلين عن العالم المسميين برمودا والتنين غائبتين عن عيون الإنس، ذلك أن بفضل التكنولوجيا المتطورة التي اخترعها الإنس من طائرات حلقت في السماء، وسفن طافت البحار، وغواصات بلغت كل قاع، جعلت كل شيء تحت مرمى الأبصار وظلت مملكة شياطين الجن آمنة لعصور عدة .. لكن ما أن عرف الإنس ركوب البحر ومرورهما بكلتا المنطقتين، إلا وأدرك شياطين الجن الخطر الذي يهددهم .. فاختطفوا أعداداً من السفن والقوارب والغواصات والطائرات التي ربما رأت سراً عن عالم شياطين الجن، فخشي الجن افتضاح أمرهم، وبالتالي خسارة مملكتهم، كما خسروا من قبل الأرض التي كانوا وحدهم يعيشون فيها، وخسروا معركتهم مع (مهلاييل) الذي شردهم عن الأراضي القريبة من مواطن الإنس .. فعمدوا إلى الاختطاف كل طائرة وسفينة ونحوهما مارة.. حتى حققوا بذلك نصراً عندما صدر قرار دولي بمنع الملاحة في منطقتي مثلث برمودا ومثلث التنين.

المبحث الثاني

مكايد إبليس

وفيه تمهيد اثنا عشر مطلبا

تمهيد:

سأحاول في عجالة تعريف المكايد خاصة وأننا سنقتصر في هذا المبحث عليها فقط.

عريف المكايد:

قال ابن فارس: (الكاف والياء والدال) أصل صحيح يدل على معالجة الشيء بشدة، ثم يسمون المكر كيدا، قال تعالى: {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً} (الطور 42) [230] وهو كما قال الراغب: ضرب من الاحتيال [231].

والمكايد: جمع مكيدة، مِن كاده يكيده كيدا ومكيدة ومكايدة، وهي: المكر والخبث والخديعة والحيلة، كلها معان مترادفات، ومنه قوله تعالى: قوله تعالى: {فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ }[المرسلات39] {فيكيدوا لك كيدا}.أي: فيحتالوا لك احتيالا.[232].

وقيل: الكيد: المضرة.

فالمراد من مكايد إبليس هي: مكره وخبثه وخديعته وحيلته وحبائله.

وهي أنواع وألوان وأشكال، تختلف باختلاف حالها من شخص إلى شخص، حسب المستوى الإيماني قوة وضعفا، وعلى قدر قرب الناس أوبُعْدِهم من ربهم، وعلى قدر إدراكهم لخطر هذه المكايد.

المطلب الأول

تزيين الباطل

المتأمل في المعاني التي تضمنت قول الله تعالى على لسان إبليس: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(الحجر 39).يدرك أنّ أخطر سلاح يستعمله عدو الله إبليس لإغواء الناس، هو تزيين الباطل وتحسين القبيح وتحويله إلى صورة مغرية، حتى يكون العاصي على صفة لا تجدي معه النصائح، لأن الشيطان قد استولى على عقله وسلب منه التمييز، وزين له ما فيه مضرته حتى يخيّل إليه أنه فيه نفعه، كمن يظهر له الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، وفي طليعة ذلك ما تضمنه قوله الله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }[النحل120]

---

230) معجم مقاييس اللغة (ك ي د)

231) مفردات الراغب (728.)

232) معاني القرآن للنحاس جـ398/3، ومفردات الراغب (728) والصحاح جـ533/2، وتاج العروس جـ489/2، واللسان (كيد.)

فإذا زُين للإنسان الباطل ورآه حسنا فإنه يندفع بقواه لتحقيق ما يراه حقا وإن كان فيه هلاكه، ومصداق هذا، قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ }[محمد25]

وقال عن عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان حيث كانوا عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا:{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ{38} وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ}(العنكبوت:39، 38).

والهداية والضلالة طريقان واضحان متغايران مفترقان، فلا يستوي من كان على يقين من ربه كمن زين له سوء عمله، {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ }[محمد:14]

وإنّ من جملة ما حسنه الشيطان ما أوقع الناس في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، فزين لهم قطيعة الأرحام والكفر والعصيان وغفلهم عن قول الله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }(محمد 229).

وزين للمبطلين الفواحش ما ظهر منها وما بطن فيرون فيها لذتهم ومتعتهم، والتقول على الله: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ{28} (الأعراف 28)

وغفلهم عن قول الله: {قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون} وعن قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (الأعراف 33).

وزين لأهل الشرك التقليد وعبادة الأصنام والأوثان، فأصبحوا يرونه أسوة حسنة {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (الزمر 3)

وزين لأهل البدع الضلالات ولَبّسَ عليهم دينهم فاعتقدوها من الدين وغفلهم عن قول الله: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. } (الشورى 13).

وزين للسحرة والكهان إضلال الناس فاتخذوه وسيلة لجلب القوت فسلكوا بهم سبل الضلال وغفلهم عن قول الله: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً} الكهف:103)[233]

وللشيطان في تزيين الباطل وتحسين القبيح طرق وأعوان، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ }(الزخرف 37).وإنّ من أكبر أعوانه وحبائله ومصايده النساء، وقد رئي الرجل القوي الحازم ذا اللب يضعف أمام المرأة، فقد يحمله ذلك على ارتكاب ما حرم الله، وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: (النساء حِبالة الشيطان) [234].

لذا كان خروج المرأة متعطرة متبرجة متزينة لتفتن الرجال من مكايد الشيطان وتسويله، يقول صلى الله عليه وسلم : (إنّ المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإنّ ذلك يرد ما في نفسه) [235] وفي رواية: (فإن معها مثل الذي معها) [236]

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا استعطرت المرأة فمرت على قوم لِيَجدوا ريحها فهي كذا وكذا) قال قولا شديدا، وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة) [237].

ولذا وُجّه النهي الشديد للنساء عن شد انتباه الرجال بأي وسيلة كان، قال تعالى: { وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ..} (النور:31).

وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان حين تربصه لبعض أخطاء الإنسان ليوقعه في شِباكه وحبائله، بالذئب الذي يتصيد الغنم ويحتال في إهلاكها، فقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فإياكم

---

233)الأشقر، عالم الجن والشياطين للأشقر(69).مرجع سابق.

234) الحبالة – بالكسر– وهي ما يصاد بها من أي شيء كان النهاية (333/1). والأثر ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله في خطبته حين رجوعه من تبوك.المغازي جـ1016/3.

235) أخرجه مسلم جـ1021/2.

236) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب جـ322/4.

237) سنن أبي داود جـ79/4.

والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد) [238].لذا كان الشذوذ عن جماعة المسلمين مدخلا من مداخل الشيطان الخفية التي لا يدرك الإنسان عواقبها.

وبعد فليدرك الناس حقيقة عداوة إبليس فيتخذوه عدوا، وليعلموا أنه لا يفتر ولا ينام فيقاوموه على الدوام كما هو يعاديهم على الدوام؛ قال رجل للحسن البصري: أينام إبليس ؟، قال: لو نام لوجدنا راحة [239].

فكل باطل مزين أو شر محسن يرتكبه الإنسان إلا وعليه مسحة من الشيطان تُزيِّنه وتظهره على غير حقيقته، وكلما وجد الناس من نفوسهم شهوة باطلة فإنما هي من الشيطان.[240].

المطلب الثاني

تسمية الأشياء بغير اسمها

إنّ الشهوات البشرية الرخيصة من أوسع مداخل الشيطان، فهو بوسوسته وتلبيسه يتلمس وينتهز بعض شهوات الناس ورغباتهم النفسية، فيغريهم بأسماء محببة للنفوس ليلبس عليهم دينهم، فيخدع الإنسان نفسه ويغالط حسه فيرتكب المخالفات كتحليل ما حرم الله وإسقاط ما فرضه، ومخالفة أوامره ونواهيه، متأولا استحلالها، كما حكى الله تعالى عن الأبوين: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ}(الأعراف 20)

أدرك الشيطان أن آدم تعالى بحكم جبلته يحب الخلود ومُلْكاً غير محدود، فخدعه بتسمية الشجرة التي منع منها بشجرة الخلد، ليحمله على المخالفة الإلهية، فانساق آدم تعالى وراء إغراءات الشيطان وتلبيسه: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى}(طه 120) إما متأولا أمر الله من غير قصد المعصية، أو ناسيا تحذير الله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } (طه 115) وقد سمى الله

---

238)ابن القيم، تلبيس إبليس (30)مرجع سابق

239) أخرجه أحمد جـ232/5، قال الألباني: ذكره المنذري في الترغيب والترهيب وهو ضعيف. ضعيف الجامع(312).

240) إغاثة اللهفان (119)، تلبيس إبليس (36).وانظر أحكام القرطبي جـ27/10، ابن كثير جـ551/2، فتح القدير جـ131/3، روح المعاني جـ49/5.

تعالى هذه النصائح الشيطانية غرورا وخداعا، فقال: {فَدَلاّهُما بِغرور..} (الأعراف 22) [241]

ومن هذا القبيل استحلال محارم الله بالحيل والتأويلات الفاسدة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير).[242].

وقد صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فقد وجد من أتباع الشيطان وأعوانه من ينفذ مكايده وحيله، فيسمي الأشياء المحرمة بغير اسمها ليستميل عقول الضعفاء إلى استحلال ما حرم الله، فيسمون مثلا الرشوة بالهدية، والرقص والغناء: بالفن والموهبة، والزندقة والضلال بحرية الرأي والتنوير، والخمر بأم الأفراح أو عصير العنب أو النبيذ المسكن، والميسر: بمرابحة مالية، والصور والتماثيل: على أنها شَارات الفخر والاعتزاز إلى غير ذلك، ولا شك أن هذا من تسويل الشيطان واستحواذه، ومن تلاعبه بأفكار وعقول من ينقاد له، ليستدرجهم لتحليل ما حرم الله.[243].

المبحث الثالث

استحلال المحرمات

وهي أشكال وألوان، وكل منها أبلغ خطرا وأكبر نكاية وأعظم إثما من أختها، وفي طليعتها:

1) (تناول المسكرات):

قال صلى الله عليه وسلم: (ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر) [244] وهي أم الخبائث تؤدي إلى الضلال المحقق وإلى نتائج وخيمة وآثار سيئة، وحض الشيطان على تعاطيها أكثر من غيرها، ومِن ثَم جاء التنفير منها في القرآن الكريم بصورة ظاهرة بالغة وعلى

---

241) فتح القدير جـ195/2.مرجع سابق.

242) أصل هذا الحديث فى البخاري قال: باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه وفيه: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف (الحِرَ: هو الفرج جـ51/10، وأخرجه أبو داود جـ329/3، وابن ماجه جـ256/2، 385، وانظر صحيح الجامع الصغير (ج105/5)

243) إغاثة اللهفان جـ333/1،121، 344، عالم الجن والشياطين (70).

244) صحيح البخاري جـ30/10، سنن ابن ماجه جـ388/2.

سبيل الحصر والقصر لئلا يحتال المرتابون على النصوص، ثم بهذا النداء الجليل والخطاب المفعم بالتشريف والتعظيم، لاستجاشة قلوب المؤمنين وتذكيرهم بمقتضى هذا الإيمان من الالتزام والطاعة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}. (المائدة:90، 91).فهي رجس دنسة خبيثة مخبثة لا تستحق الانضمام مع الطيبات ولا تنطبق عليها صفات الطيبات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصِرَها ومُعْتَصِرَهَا وحاملها والمحمولة إليه) [245] وللبخاري: (ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن..) الحديث [246]

وقد شهد الواقع أن الخمر تثير الأعصاب وتهيج النزغات والنزوات وتفقد العقل، وإذا فقد الإنسان عقله الذي ميزه الله به، ارتكب الموبقات وآذى عباد الله، وقد رؤي- متعاطيها- ممن قد بلغ أشده وكمل عقله وتم رشده يتصرف تصرفات المجانين، يفترش الطريق، ويضحك منه الكبار والصغار، فلو قيل له بعد فواقه فلا يكاد يصدق، ولذا من أضل مسلما بشرب الخمر كان أيضا محل تتويج جند الشيطان.

وما حذرنا الله منها إلا لعظيم خطرها على الفرد والمجتمع في العاجل والآجل اقتصاديا واجتماعيا، كما أنها مصدر الضغائن والأحقاد بين الناس، تمهد الطريق إلى ما بعدها من الآثام والمعاصي من الميسر والأنصاب والأزلام [247].

2) (القمار).

لاتقل خطورته وغيبوبته عن الخمر عند المقامرين، فعالم المقامرين كعالم السكارى في إضاعة الوقت والمال وزرع الضغائن والأحقاد فقد يبلغ بالرجل يقامر على أهله، ولا بد أن يحقد المقمور المقهور على قامره الذي استولى على ممتلكاته على مرأى منه ويذهب به غانما غالبا، لذا كان العطف بها على الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ.} والتنفير عنها مماثلا مساويا مشاركا في الإثم والضرر وفي الحكم والحرمة، سواء على الفرد أو المجتمع

---

[245]) سنن أبي داود جـ326/3، وذكره ابن كثير جـ94/2، وصححه الألباني. صحيح الجامع جـ19/5.

[246]) صحيح البخاري جـ30/10، سنن ابن ماجه جـ388/2.

[247])ابن القيم، تلبيس إبليس (30).

والشفاء منه عسير، إنّ أمرا كهذا طبيعي أن يزرع العداوة والبغضاء مهما اجتمع القرناء على أنها في نظرهم مواطن سعادة وأنس لهم [248].

وإنّ مما يدل على عِظَم قبحه، تفسير مالك بن أنس لقوله تعالى: {فماذا بعد الحق إلا الضلال} (يونس 32) قال: اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال. [249].

وقال: الميسر ميسران: ميسر اللهو، وميسر القمار؛ فمِن ميسر اللهو: النرد والشطرنج والملاهي كلها [250].

وعن عليّ وابن عباس رضى الله عنهم ومجاهد وغيرهم: كل شيء فيه قمار من نرد وشطرنج فهو ميسر [251].

وتم اختراع أنواع كثيرة من القمار كلها حرام وباب من أبواب تزيين الشيطان للباطل.

3) (الأنصاب):

الأصنام: ما صُور وعُبِد من دون الله، والأنصاب: حجارة لم تصور كان ينصبها الكفار للعبادة ويذبحون عندها [252] فبينهما عموم وخصوص وَلَطَالما وُجِدَ فيهما اسم العبادة ومعنى الإثم فلا فرق بينهما.

لقد فطر الله الناس منذ الخلق على التوحيد دين الفطرة، لم يعرفوا الأصنام والأوثان والأنصاب، فزين لهم الشيطان بوسوسته وحولهم عن الهدى، بأنها تذكر بالصالحين السالفين، فنصبوها عند الكعبة وعبدوها، قال تعالى{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم...}(الأنعام:128) أي: أضللتم كثيرا منهم بتزيين الباطل والضلال لهم [253].

وقد تلازمها شياطين فتخاطب عُبّادَها، ليعتقدوا فيها قضاء الحوائج وجلب الرزق والخير والنفع ودفع الشر والضر، فيستنصروا بها في تفريج الكروب إلى غير ذلك [254].

---

248) أحكام القرطبي جـ52/3، وابن كثير جـ91/2.

249) أحكام القرطبي جـ337/8.

250) أحكام القرطبي جـ337/8.

251) أحكام القرطبي جـ52/3، وابن كثير جـ91/2.

252) أحكام القرطبي جـ52/3، وابن كثير جـ91/2.

253) انظر تفسير ابن كثير جـ176/2.

254) أحكام القرطبي جـ57/6، 286، روح المعاني جـ58/3، 15، ابن كثير جـ11/2، في ظلال جـ840/2.

ولا أدل على ذلك من عبدة الشيطان في هذه الايام.

4) (الأزلام):

كان أهل الجاهلية إذا قصدوا أمرا ضربوا ثلاثة أقداح، كتب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، وأبقوا الثالث مهملا، فإن خرج الآمر مضوا لحاجتهم، وإن خرج الناهي تجنبوا، وإن خرج المهمل أعادوا الضرب، كما أنهم كانوا يستقسمون بها الرزق وغير ذلك[255].

والأزلام لا تعلم الغيب ولا تعرف موطن الخير ومخازنه، واستشارتها خلل في العقل وقصور في الفهم وافتراء على الله إن أريد بـ(ربي) – الله جل وعلا– وشركا إن أريد به الصنم، وحُرْمَتُها ناشئة من سوء الاعتقاد، والاعتماد عليها دال على فساد الاعتقاد ولا تخلو من تشاؤم، لذا كان العطف مُعْلِماً بحرمتها، قال تعالى: { وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ } (المائدة: 3) أي: وحرم عليكم الاستقسام بالأزلام.

ولهذا صار استعلام الخير والشر والضر والنفع من المنجمين والكهان، وتعاطي التنجيم والرمل والخط والزجر والطِيرة والتشاؤم مِن تسويل الشيطان ومن أفعال الجاهلية ممنوعا حراما بلا شبهة، كما نص عليه القرآن الكريم، بقوله: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}(النمل 65) .ولذا كان تنفير النفوس واقعا في أبلغ صوره لكمال شناعتها، فسيقت مساق المستقذرات من الأشياء التي تعافها النفوس وتستهجنها الطبائع وتتجنبها، فقال سبحانه: {رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} وقال: {ذلكم فسق} (المائدة 3) أي: خارج عن طاعة الله.

وفي مقابل ذلك ربط الله فلاح العبد في عاجل أمره وآجله بالاجتناب عنها كليا، فقال: {فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [256].

---

[255]) وكان يتخذها كل إنسان لنفسه ويجعلها في خريطة معه، ويستشير بها عند الحاجة، ومنها ما وضع داخل الكعبة، يتولى أمرها سيد القوم وكبيرهم، وهي ثلاثة في قول وسبعة في قول، وهي قداح الميسر وهي عشرة في قول أحكام القرطبي جـ58/6،.روح المعاني جـ58/2.

[256]) و نجد التعبير القرآني هنا دقيقا أيما دقة، فإنه عبر بـ {الرجس} وأطلق هذه الكلمة على سائر المذكورات ليشملها كل معاني النفور والاجتناب، والتقزز والتقذر منها، فقد ذكر العلماء أن معنى الرجس: السخط ويطلق على النتن

وفي آخر الموعظة الربانية يكشف الله للمسلم عن الغاية المؤلمة والهدف السيئ والكيد الماكر الذي يسعى من أجله الشيطان ويبذل قصارى جهده بتزيينه هذه المستقذرات، فيقول سبحانه: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ }(المائدة91)[257].

ولكن بعض الناس قد سحر الشيطان عقله ولبّس عليه أمره فهو لم ينته بعد فأخذ يركض وراء التخيلات، ليستعلم الخير والشر والضر والنفع من المنجمين والكهان، ويستكشف عما قدر الله له في الأزل عن طريق الأبراج الفلكية التي استحدثت في أعقاب الزمان في بعض المجلات، فهذا كله من الكهانة ويحرم تصديقه.

وقد أبدلنا الله تعالى باستخارته عز وجل الذي بيده مفاتح الخير وخواتمه وجوامعه، ويعلم ما ينفع العبد وما يضره، إنه بعباده خبير بصير.

5) (السحر):

السحر طريق إلى الشرك والساحر مشرك، وهو من الباطل الذي زينه الشيطان واستدرج بعض الإنس إليه، تعاطي السحر في مختلف صوره وأشكاله، سواء ما كان منه بالأوراد والعزائم المحتوية على الاستعانة بالجن فيما يريدونه من الإضرار بالناس، أو بعقد الخيوط والنفث عليها، أو بدفن السحر في الأرض، أو بتدخين البخور والسقي، أو بأي عمل تحصل به المضرة.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز حقيقة السحرة والسحر وما يترتب عليه من مضار حسية ومعنوية،.ومِن ثَم حَكَم القرآن الكريم على الساحر والسحر وتعلمه واستخدامه بالكفر، لأنه محض شر وأذى، قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ

والعذرة والأقذار، وعلى كل ما تعافه النفوس وتتجب عنه العقول، وعن الزجاج الرجس: كل ما استقذر من عمل قبيح أحكام القرطبي جـ287/6، روح المعاني جـ15/3.

[257]) أحكام القرطبي جـ58/6، ابن كثير جـ11/2، روح المعاني جـ58/2، في ظلال جـ841/2.

وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } (البقرة 102).

وكان تحريض الشيطان على تعلمه وتعاطيه أشد من غيره، لأنه جاء مقرونا بالشرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر) [258] فهو سبب في نشوب العداوات بين الناس، والتفريق بين المرء وزوجه وبين الإخوة والأبناء، والعشيرة والأصدقاء، والتفريق بين الزوجين في نظر الشيطان من أعظم الأعمال وأجلّها، فقد ذكر ابن الجوزي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه منه فيلتزمه، ويقول: أنت [259].

ولعظيم جرم الساحر فقد أمر الشارع بقتله، لإنقاذ الناس من شره، وردعا للآخرين، ذلك لأنه يصعب من الساحر صدور التوبة، لأن قرين السوء قد زين له السحر، كما قال تعالى: { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } (الزخرف 36) أي: يتعامى ويتغافل ويعرض [260].

وقد استجاب للشيطان بعض من خذله الله وأذله، فهو يجتهد في تعلمه ليستدرج ضعفاء الناس إليه لسلب أموالهم متجاهلا نتيجة تعلم السحر وعاقبة الساحر في الدنيا والآخرة هو الخسران المبين، قال تعالى: { وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ }.

إنها أمور يستطيع المسلمون رؤيتها في واقع أمرهم وحالهم، ولا يحتاج الأمر إلى بحث أو استدلال، أو ينتظروا وقوع العداوة منه حتى يصدقوا.

---

[258]) صحيح البخاري جـ232/10.

[259]) تلبيس إبليس (24)، والحديث أخرجه مسلم جـ2167/4، وابن الجوزي هو: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ القرشي البغدادي علامة عصره في التأريخ والحديث ت (597) الأعلام جـ316/3.

[260]) انظر أحكام القرطبي جـ47/2، ابن كثير جـ147/1، 128/4، روح المعاني جـ339/1.

ولكن الشيطان بمكايده يؤز الناس إلى ما فيه هلاكهم، ويُنسِيهم ويصدهم عما فيه خيرهم وصلاحهم، فزين لهم الاتكال على غير الله وأنساهم طلب العون والمدد من الله والرجاء والتوكل عليه.

المطلب الرابع

تحريضه للإنسان على تأخير الصالحات

من أكبر مكائد الشيطان، تثبيطه عزائم العباد بتسويله العجز والكسل في فعل الطاعات والتثاقل عن المسارعة في كسب الرغائب، ويوصي أحد أصحابه بالحرص والمسارعة فيما ينفعه في العاجل والآجل فيقول: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) [261] .

ويتجلى هذا الخلق الذميم في: التثاقل والتكاسل أو التشاغل أو التسويف عن أداء الوجبات الدينية أو الدنيوية أو تأخير فرص الخير.

وذلك بوسوسته المتتابعة للإنسان حتى يُنسّيه ما فيه خيره وصلاحه سواء في الدنيا أوفي الآخرة، فإذا لم ينقد لوساوسه عند ذلك يسالمه فيذَكّره بأشياء قد نسيها ليصده عن ذكره الله، كما جاء الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: (فإذا قُضِي التثويب أقبل حتى يَخطِرَ بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا وكذا – ما لم يكن يذكر– حتى يظل الرجل إنْ يدري كم صلى.....) [262]

وما زال يوسوس لأبي البشر آدم تعالى حتى أنساه عهد الله فأكل من الشجرة التي نهي عنها قال تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }(طه 115) وبهذا فوت عليه مصلحة دينية ودنيوية عظيمة.

وما زال يحرش بين الناس ويوسوس لهم ليفوت عليهم الخير الكثير ويضيع عليهم الفرصة الثمينة.

---

[261]) صحيح مسلم جـ2052/4.

[262]) صحيح البخاري جـ267/4، وصحيح مسلم جـ824/2، 827.

وما يزال يحلي مجالس الباطل مستوليا على عقل الإنسان وقلبه وحواسه حتى يُغْفله ويُنَسِّيه أمر الله.

وقد ذَهِل يوسف تعالى الذي سجن ظلما، فأنساه الشيطان طلب العون من الله بمقتضى مقام النبوة- في قول- فذكر كحال البشر مظلمته للبشر، فقال للذي ظن أنه ناجٍ اذكرني عند ربك ليكون ذلك سببا لانتباهه على ما أوقعه من الظلم بعد ما دل على براءته تعالى، فقال الشرابي أفعل، فأنساه الشيطان بمقتضى الجبلة البشرية – في قول- ذِكْر إخباره بما أمره به يوسف تعالى مع خلوصه من السجن بإلقاء أشغال في قلبه فلم يبلغ سيده، وفي كلا الحالين لَحِق يوسف تعالى ضرر عظيم بسبب هذا النسيان، قال تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ }(يوسف 42).

فَفَوّت الشيطان على هذا النبي أولا مصلحة دينية عظيمة، حيث وسوس إليه أن يستعين بغير الله في تفريج الكربة ومقام النبوة يتنافي مع هذا، وفَوّت عليه ثانيا مصلحة دنيوية حيث مكث تعالى في السجن مدة مضاعفة ليكون درسا له، وكان هذا من جملة مكايد الشيطان [263]

وخرج موسى تعالى مسافرا واصطحب معه فتاه لطلب العلم، وحمل معه حوتا مملحا، وقيل له: متى فقدت الحوت فهناك المقصود...، فسقط الحوت في البحر وجعل يسير، قال تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً }(الكهف 61)

فاستيقظ موسى تعالى وقد أشغل الشيطان بوسوسته فكر الفتى فلم يخبر موسى تعالى عما جرى للحوت، وتجاوزا المكان المقصود، فسبب لهما الشيطان إزعاجا وكلفهما مشقة السفر أكثر من المطلوب وأرهقهما دون فائدة.

وما زال يوسوس لأوليائه ويُلهيهم عن حقوق الله وواجباته حتى غلب واستولى عليهم وتمكن من عقولهم وحواسهم فانقادوا له وصاروا من أنصاره وأعوانه، فأنساهم أوامر الله

[263]) انظر تفسير الطبري جـ221/12- 223، أحكام القرطبي جـ195/9- 197، روح المعاني جـ247/4، فتح القدير جـ29/3.

وزواجره ونواهيه، فلم يراعوه حق رعايته، كما قال تعالى:{وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } (الزمر 67).

ثم وعدهم ومنّاهُم المغفرة والفرج والفوز بالجنة مع ما أنساهم حقوق أنفسهم فلم يعملوا لخلاصها، ولم يدخروا لها زادا للحياة الأبدية، فكان الجزاء من جنس العمل: {نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }(الحشر19)

المطلب الخامس

الوعـد والتمـنـية)

إنّ المغبون المخدوع حقا من يسير خلف وعود الشيطان وأمانيه الباطلة الناشئة عن تسويله ووسوسته التي هي محض ضلال وشر قال تعالى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً }(النساء 120) يعد أولياءه بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة، ويلهيهم عن إحداث التوبة، ويزين لهم التسويف بالأعمال الصالحة، وقد بين الله في كتابه بأن أماني الشيطان ضلال محض، قال تعالى: {ولأضلّنهم ولأمنّيَنّهم...} (النساء 119).

وبين أن الاعتماد عليها من عبادة الشيطان الذي يأمر بمخالفة أمر الله تعالى، وقد قرن الله بين الشيطان وبين عبادة الأصنام في قوله:{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً*إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً } (النساء 116,117)

وإن الشيطان بغروره وخداعه يستدرج الإنسان ويمنيه النجاة من عاقبة عمله، ويشجعه بنصرته إياه، ثم يخذله ويتخلى عنه وقد أورده موارد الهلاك المحقق، لا ريب إنها حالة استهواء من إبليس يزين فيها للإنسان سوء عمله فيراه حسنا، ويَعِدُه الكسب والسعادة في طريق المعصية وقد سماه الله غرورا ! فقال تعالى: { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا } [سُورَةُ النِّسَاءِ: 120]

فمن يسير خلف وعود الشيطان وأمانيه فإن خسارته محققة لا محالة، كما مَنّى كفار قريش يوم بدر النصرة ووعدهم الإجارة حتى أوقعهم في الهلاك، قال الله تعالى: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ

نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} الأنفال 48).

ويمَنّي الكفرة أصحاب الغنى بالثروة والمال في الآخرة مثل ما كانوا في الدنيا لينسيهم حظهم من الآخرة، فيقول قائلهم: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً }.(الكهف 36).ويكون فيه حتفه، وإذا به يلقى مصيره على خلاف ما كان يتصور، فيدمر الله جنته في الدنيا فيعلم أنه كان مغرورا مخدوعا، لأنه عاش في الدنيا على أماني إبليس وآماله السرابية ونصائحه الخائنة {وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً } (الفرقان 29)

وهكذا يمني المقصر المتواني بمغفرة الله دون أن يسلك مسالك المغفرة أو يتعرض لرحمة الله، وفي مقابل ذلك يصده عن العمل الجاد المثمر الذي فيه فلاحه في الدنيا والآخرة: {وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (الزخرف 62) ويزين له التخيلات والأماني، ومصداق هذا ما جاء على لسان المصطفي صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).[264].

المطلب السادس

إظهار النصح للإنسان

إنّ الشيطان بأمانيه الكاذبة يُنسي الإنسان عداوته ويصور نفسه من الناصحين النافعين، ولقد جُبِلَ الإنسان بفطرته على جلب المصلحة والانقياد لمن يناصحه، فظهر الشيطان لآدم تعالى في شكل الناصح الأمين الحريص على المصلحة وأنساه عداوته التي حذره الله منها بقوله: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} (طه 117) فلا عجب من آدم أن يكون حريصا على جلب المصلحة، حفيا لمن يقدم له النفع والنصح، قال تعالى : {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ }.(الأعراف 21) [265].والحقيقة كان هذا كيدا ومكرا من الشيطان.

---

[264]) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن جـ155/7، وابن ماجه جـ440/2.ومعنى دان نفسه: أي يحاسب نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة.

[265]) انظر إغاثة اللهفان (122، 129).

قال مطرف وقتادة: قال لهما إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وحلف لهما، والمؤمن غِرٌّ كريم يخدع ولا سيما يُخْدَعُ بالله، والفاجر خب لئيم، وما كان لآدم تعالى أن يصدقه إلا أنه لما قاسمه بالكذب، وما كان يظن أن أحدا يجسر على الحلف بالله كاذبا [266].

وإنّ من إظهاره النصح: تظاهره في صورة المشفق النصوح ثم تخليه وخذلانه بعد إيقاع الإنسان في الخسارة المحققة والمصير السيئ، كما فعل بعابد بني إسرائيل، وقدم له النصائح والإرشادات التي كانت فيها نهايته المؤلمة، منها موته على الكفر والعياذ بالله، كما حكى الله تعالى عن ذلك بقوله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }(الحشر 16).

وقد انتصح له بعض الناس بما يحتقرون من بعض المنكرات فيُصِرّون عليها دون إحداث توبة، وهناك قصص ووقائع تبين لنا أساليب الشيطان في إضلال العباد، ما فيها عبرة وعظة لأولى الألباب.

وقد وَرَّث عدو الله هذا المكر لحزبه من أهل البدع والضلال والأهواء، بما يرون من التدين بمستحسنات العقول، والمنافقين بمخادعة الله ورسوله والذين آمنوا، وانقيادهم لنصائح الشيطان وإرشاداته، لينطبق عليهم قول الله تعالى: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} (النساء 115).

تلك سنة الله في خلقه إذا عدلوا عن الحق سلط عليهم الشيطان، فأمال قلوبهم وصرفها عن الحق والهدى، وألزمها الشك والحيرة والخذلان لتكون عقوبة إلهية، وصدق الله إذ يقول: { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}. (الأنعام 110).

ولذا كان رفض الحق بعد وضوحه من آثار تلك النصائح الشيطانية ويكون الجزاء كما قال تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.(الصف 5).من آثار تلك النصائح الشيطانية.

المبحث السابع

[266]) إغاثة اللهفان (124)، وابن كثير جـ206/2.

تخويف المؤمنين من أوليائه

وذلك بزرع الخوف ونشر الرعب في صدور الذين لا يحتاطون من وسوسته { إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} (المجادلة 10).

وبتضخيم شأن أوليائه من الكفار والمنافقين وإلباسهم لباس القوة والقدرة، وإيقاعه في النفوس أن لهم الحول والقوة ويملكون الضر والنفع والبطش، كما قال السدّي: يعظم أولياءه في صدوركم فتخافوهم [267] ، لقصد تثبيط أهل الإيمان لئلا يجاهدوهم، ولئلا يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لينتشر الشر والفساد في الأرض.

وما زال في كل زمان ومكان يضخم شأن أتباعه وأوليائه ليستدرجهم إلى الهلاك المحقق، كما أغرى كفار قريش يوم بدر بمعيته ونُصرته قائلا: {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا ..} (الأنفال 48)

وما نراه ونشاهده اليوم من انتشار رهبة الكفار في صدور المسلمين وخوفهم منهم أشد الخوف في عقر دارهم مع كثرة عدد المسلمين ووفرة عُدّتِهم وامتلاكهم لأساسيات القوة والاقتصاديات، إنما هو امتداد لتلك المكايد الشيطانية، رغم أن الواقع يشهد بخلاف ذلك [268]، فإن الله تعالى يرفع ويعلي من شأن أوليائه ويقلل من شأن أعدائه قال تعالى: {إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } وقال تعالى: {وَأَنَّ اللّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ }(التوبة 2)

وفي سياق الآية التالية يكشف الله تعالى للمؤمنين حقيقة مكر الشيطان وما يلقيه بوسوسته في قلوبهم من الشبهات واللبس لينضموا إلى حزبه الخاسر فقال تعالى:{إِنَّمَا ذَلِكُمُ

---

267) الطبري جـ184/4.والسدي هو: الإمام إسماعيل بن عبد الرحمن حجازي الأصل سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير. الأعلام جـ317/1.

268) مثل انتصار المسلمين على قِلة عَدَدهِم وضعف عُدَتهم يوم بدر والأحزاب وفتح مكة وخيبر والطائف وما بعدها من فتح فارس والروم وغيرها من البلدان أصدق دليل على قوة حزب الله ورفعة شأن المسلمين وضعف حزب الشيطان وذلتهم، وصدق الله حيث يقول{ **:وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم** {آل عمران (126) وقال{ **:بنصر الله ينصر من يشاء** {الروم (5) وقال{ **:وكان حقا علينا نصر المؤمنين** {الروم (47.(

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.(آل عمران 175) فالشيطان وأولياءه أضعف من أن يُخاف منهم: {إنّ كيد الشيطان كان ضعيفا} (النساء 76)

ويبين أن حقيقة الخوف منه سبحانه لا من غيره لأن منه النصر والعزة ومنه تُستمد القوة، فيقول: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً} (فاطر 10) ويقول: {وإِيَّاي فارهبون} (البقرة 40) أي احذروا وخافوا مخالفتي في ترك أوامري إن كنتم صادقين في الإيمان، فكلما قوي إيمان العبد زاد تعلقه وثقته بربه وزال من قلبه خوف حزب الشيطان، لأنه يوقن أن ربه يحيطه بعنايته وكلائه، وهذه عبادة من العبادات التي أمر المسلم بتحقيقها وصرفها لله تعالى دون سواه قال تعالى: {يخافون ربهم من فوقهم} (النحل 50) وكلما ضعف إيمانه ازداد خوفه من الشيطان ومن حزبه ولهذا جاء التنبيه من الله مشروطا الإيمان فقال: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(آل عمران 175) فلا يتحقق إيمان كامل صحيح إلا بالإيقان الكامل أن النافع والضار هو الله تعالى [269].

المطلب الثامن

إلقاء الشبــهات

الشُبْهَة كما ذكر الراغب: هي أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه، فلا يُدرى أَحلالٌ هو أم حرام وحق هو أم باطل [270].

وخطر الشبهات على الإنسان بمكان معلوم، إذ أنها تلبس الحق بالباطل، فتوقع المسلم في حيرة من أمر دينه لتزعزع عقيدته وتمهد له طريق المخالفات والمحرمات، لذا جاء الأمر باجتنابها لأنها مُردية مهلكة، فعن النعمان ابن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن واقع شيئا منها يوشك أن يواقع الحرام....) [271].

---

269) انظر :تفسير الطبري جـ183/4، أحكام القرطبي جـ282/7، ابن كثير جـ430/1، إغاثة اللهفان (119)، روح المعاني جـ129/1، في ظلال القرآن جـ521/1.

270) مفردات الراغب (443). والراغب هو: أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني من الأدباء الحكماء ت (502 هـ) الأعلام جـ255/2.

271) سنن الترمذي جـ395/4، وبمثله البخاري جـ126/1.

وتعد مكيدة إلقاء الشبهات من أفتك المكايد وأخطرها، لأنها مدخل واسع يأتي الشيطان من خلاله.ليحمل الإنسان على الوقوع فيها ليحقق من خلالها أمانيه من الانشغال فيما لا يعنيه، وتحويل الدعوة عن أصولها وموازينها، وليقود الناس إلى أمر بالغ الخطورة.

فمن ذلك أنه يوقع بهم في التفكر في ذات الله، كما جاء في الحديث (يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا ؟، من خلق كذا ؟، حتى يقول من خلق ربك ؟، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولِيَنتَه) [272].

ومن جملة ذلك ما يلقيه في النفوس من الشكوك والشبهات ما أخبرنا الله تعالى بقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ{52} لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ{53} وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الحج 52- 54).

وقد تعددت آراء المفسرين حول هذه الآية، والأقرب منها – إن شاء الله – أن معنى قول اللهتعالى : {إلا إذا تمنى ألقى الشيطان} أي: في حديثه وتلاوته، فأخبر الله أن من سنته في رسله، وسيرته في أنبيائه إذا قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه مِن قِبَلِ نفسه كما يفعل ذلك في سائر المخالفات.

والمراد بالتمني المذكور في الآية كما ذكره البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث نفسه ألقى الشيطان في حديثه على جهة الحيلة [273] ، فيقول مثلا: لو سألت الله أن يغنِّمك ليتسع المسلمون؛ أو يتمنى إيمان الناس جميعا؛ وهذا لا يتم إلا بإرادة الله، كما قال تعالى: { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } (يونس 99) [274].

---

[272]) أخرجه البخاري جـ336/6، وانظر تلبيس إبليس (34.(

[273]) صحيح البخاري جـ438/8.

[274]) سورة يونس (99)، ومثل هذا قوله تعالى} :**ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا {...**الأنعام (107.(

أو إذا صفرت يداه من المال ورأى ما بأصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه لما يوسوسه الشيطان؛ ويعلم الله عز وجل أن الصلاح في غير ذلك؛ فيبطل الله ما يلقي الشيطان بوسواسه في أمنية النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بتنبيهه إلى الحق وتوجيهه إلى مراد الله، وأما ما قيل في الآية غير هذا فلا يصح عقلا ولا نقلا، والله أعلم [275].

{فَيَنْسَخُ الله ما يلقى الشيطان ثم يُحْكِم الله آياته والله عليم حكيم} أي: يأتي الله بالآيات محكمة مثبتة محفوظة لا تقبل الرد بوجه من الوجوه {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت 24) ويعلم بما يوحي إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، ويعلم ما يصدر من الشيطان وأوليائه من إلقاء الشبهات والشكوك، فيبطل ما يلقى الشيطان من تلك الشبه ويذهب بها بتوفيق الرسول لرده أو بإنزال ما يرده إلى الصواب [276].

وتكون هذه الزيادة من الشيطان بمثابة عذاب واختبار للكفار والمنافقين الشاكين الذين في قلوبهم مرض:{لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } [الحج: 53]

ويبين النبي صلى الله عليه وسلم كيفية إتيان الشيطان وقعوده لنصب شَرَك الشبهات والشكوك، فيقول: (إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرُقِه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء أبيك؟، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في طوله؟ – أي: في حبله الطويل– فعصاه فهاجر، قال: ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال: فعصاه فجاهد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة، أو قتل كان حقا على الله أن

---

[275]) ذكر القرطبي: عن العلماء أنّ هذه الآية مشكلة من وجهين أولا: من جهة تحديد معنى الرسول والنبي، فيرى بعضهم أنه لا يقال نبي حتى يكون مرسلا، والثاني :أن الأحاديث المروية في نزول هذه الآية ليس منها شيء يصح أحكام القرطبي جـ08/12، 85، وانظر ابن كثير جـ230/3، روح المعاني جـ175/6- 185، في ظلال جـ2431/4.

[276]) تفسير الطبري جـ190/17، وابن كثير جـ230/3.

يدخله الجنة، وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابته- أي: سقط عنها فكسرت عنقه- كان حقا على الله أن يدخله الجنة) [277].

ويذكر شقيق كيفية قذف الشيطان للشبهات، وكيفية التحصن والنجاة منها وذلك بتذكر وعد الله ووعيده على ما أعده الله على ذلك، فيقول: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد: من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم، فأقرأ: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (طه 82) وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على من أخلفه، فأقرأ: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا} (هود 6) ومن قِبل يميني، يأتيني من قِبل النساء، فأقرأ: { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (الأعراف 128) ومِن قِبل شمالي، فيأتيني من قِبل الشهوات، فأقرأ: { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} (سبأ 54) [278].

قال: سألت ابن عباس رضى الله عنهما فقلت: ما شيء أجده في صدري ؟، قال: ما هو ؟، قلت: والله ما أتكلم به، قال فقال لي: أشيء من شك ؟، قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عز وجل { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } (يونس 94) قال فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئا فقل: { هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }.(الحديد 3) [279].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به !، قال: (أو قد وجدتموه ؟،) قالوا: نعم، قال: (ذلك صريح الإيمان) [280].

---

277) أخرجه النسائي جـ21/6، وأحمد جـ483/3، وصححه الألباني صحيح الجامع جـ72/2، 73، وانظر ابن كثير جـ204/2، روح المعاني جـ94/3.

278) انظر إغاثة اللهفان (113.(

279) سنن أبي داود جـ329/4، 330، وانظر مختصر المنذري جـ11/8، والآية من سورة حديد (3.(

280) صحيح مسلم جـ119/1.والمعنى: أنّ صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم، والتصديق به، حتى يصير ذلك وسوسة لا يتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه أنفسكم، وليس المعنى أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان وذلك أنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيمانا صريحا ؟.معالم السنن جـ11/8.

وقد وُجِدَ في كل زمان ومكان أعوان للشيطان من أهل الكبر والنفاق والغطرسة والطغيان يكيدون للإسلام وأهله، يحاولون إضعافه بإلقاء الشبهات والشكوك في قلوب ضعفاء النفوس ليكون لهم السلطان والأمر والنهي، وما نراه اليوم من وضع العراقيل في طريق الدعوة والصد عن سبيل الله وإثارة الشبهات والشكوك حوله، إنما هو امتداد لمكايد الشيطان وأعوانه التي يمنعون الناس بها عن الخير وأسباب الخير، كما قال تعالى في شأن المنافقين: { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (المنافقون 2) ولكن الله جل وعلا بفضله وقوته يحق الحق ويبطل كيد الشيطان وأعوانه ، ويصون دعوة أنبيائه ويبين لهم أصولها ويزيل كل شبهة.

المطلب التاسع

(الزهـو والكـبر):

إنّ الكبر والزهو من تسويل الشيطان ومن مساوئ أوصافه ومن شهوات النفس الدنيئة ومن الأخلاق الذميمة التي حرمها الإسلام أشد تحريم، فهو من أعظم أسباب الهلاك في الحال والمآل ومن أكبر العوائق عن الكمال، وداء خطير ومرض وبيل يصيب بعض النفوس الضعيفة فيدفعها إلى الغرور والإعجاب بالنفس وبطر الحق وغمط الناس وانتقاصهم، والشعور بالاستغناء والرغبة في الامتياز عليهم، ويجلب مقت الله فكم من نعمة انقلبت نقمة وكم من عز وكرامة وقوة صيراه ذلا وضعفا وهوانا، وكان سببا لقسوة القلب وانتكاسه قال تعالى: { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } (غافر 35) وسبب لحرمان الهداية، قال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } (الأعراف 146).

ولما تكبر إبليس على آدم تعالى كان مصيره الطرد من رحمة الله، قال تعال: { قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } (الأعراف 13). وكان مستقر المتكبرين النار قال تعالى: { أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ } (الزمر 60)

والتكبر بمجموعه ممقوت مذموم لأنه يؤدي إلى الكفر بنعم الله، إلا أنّ أقبح صوره التي يحبها الشيطان ويزينها للناس، الاستكبار عن طاعة الله وعدم الاستجابة لحكمه، وتصعير الخد وإمالته، والمشي على الأرض مرحا وبطرا، وإسبال الثوب، والاستهزاء والسخرية واللمز

والغمز، والترفع عن مجالسة الفقراء والمساكين، والترغيب في قيام الناس له، وتزكية النفس وحب التفاخر والتكاثر.

وما أدل على ذلك من المغرور المخدوع الذي لبّس الشيطان عليه فأصبح مثال الكبر والتكبر والفخر والخيلاء وما حل به حتى صار عبرة للخلف،وهو فرعون وقارون وأبو جهل من على شاكلتهم.

وما نشاهده اليوم من الزهو والكبر والتكبر والغرور والعجب في بعض الناس إنما هو اتباع للهوى واستجابة للشيطان ومن تلبيسه، واقتداء برءوس الضلال المتكبرين، وتلبية لرغبات النفس الرخيصة المحرمة التي تكون سببا لصرف الهداية والطبع على القلوب أعاذنا الله من ذلك.

المطلب العاشر

(إتباع الهــوى)

إنّ إتباع الشيطان واقتفاء أثره والسير على خطواته، مِن إتباع الهوى المردي في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (البقرة 168)

قال الراغب: أي لا تتبعوه، وذلك نحو قوله: {ولا تتبع الهوى} (ص: 26) [281].ومقتضى العقل والمنطق اعتقاد السوء في العدو مهما قدم من النصائح، والعاقل من يحذر عدوه ولا يعتقد فيه نصحا أو خيرا.

فإذا قصد الشيطان إيقاع العبد في مهلكة استدرجه إلى المعاصي والمخالفات خطوة خطوة بدأً بالشبهات وبالأشهى والأرغب للنفس حتى يوقعه فيما هو أشد وأفظع وأنكى.

فمن خطوات الشيطان:

ومن أكثر الأدلة على خطوات الشيطان ما ابتدعه أهل الجاهلية- ومَن سار على سيرهم- من البحيرة والسائبة والوصيلة كتقديم القرابين والنذور والأوقاف للأضرحة، قال

[281]) مفردات الراغب (288).مرجع سابق.

تعالى: { مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} (المائدة 103) [282]

ومن خطوات الشيطان فعل الفرق التي انحرفت عن الحق في عباداتها بالأهواء والآراء الفاسدة والتأويلات المخالفة للكتاب والسنة، قال تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.(الأنعام 153).

يقول الأوزاعي مبينا خطر السبل المنحرفة: قال إبليس لأوليائه من أي شيء تأتون بني آدم؟، فقالوا: من كل شيء. قال: فهل تأتونهم مِن قِبَل الاستغفار؟، قالوا: هيهات! ذلك شيء قرن بالتوحيد، قال: لأبثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه، قال:فبث فيهم الأهواء [283]

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم خط لنا خطا، ثم قال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه سبل- قال راوي الحديث: متفرقة- على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[الأنعام 153] [284].

المطلب الحادي عشر

(الشهوات والرغبات النفسية).

إنّ الإنسان بطبيعة خِلْقَتِه رُكِبَت فيه شهوات ورغبات، وهي بمثابة نوازع ودوافع ضمانا لبقاء حياة البشر،وإنّ النفس بطبيعة تركيبها وجبلتها تميل إلى الشهوات، وتتثاقل التكاليف

---

[282]) البحيرة: شق الأذن، كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن بحرت، فخليت بلا راع وجعل دَرّها للطواغيت فلا يحتلبها أحد من الناس، فشق أذنها علامة لها، السائبة: يكون النذر على الرجل إن سلمه الله من مرض ونحوه سيب بعيرا أو ناقة فلا يحبس عن رعي أو ماء ولا يركبه أحد، الوصيلة: هي الدابة تلد أنثى بعد أنثى، أو تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت في الغنم، أو تلد ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوها لمكانها، أو تلد أنثى فهي لهم وإن تلد ذكرا فهي لآلهتهم، والحام: الفحل إذا نتج من صلبه عشرة قالوا: حمى ظهره فلا يركب.فتح القدير جـ82/2.

[283])أحكام القرطبي جـ140/7، 141.

[284]) مسند أحمد جـ435/1، 397/3.وصححه ابن كثير جـ190/2.وانظر أحكام القرطبي جـ137/7، ابن كثير جـ190/2، روح المعاني جـ56/3، في ظلال جـ1234/2.

الشرعية، كما قال تعالى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران 14).

وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: (حُفّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات) [285].أي: أن الجنة لا يتوصل إليها إلا باقتحام المكاره، وذلك بالاجتهاد في العبادات والصبر على مشاقها والصبر عن الشهوات ونحو ذلك.

والنار بارتكاب الشهوات المحرمة، لأنها محفوفة بها ويسيطر عليها الشيطان، ولأجل ذلك كانت الشهوات المحرمة من حبائل الشيطان ومكايده التي يتصيد بها بني آدم، ليقذف بها في قلوبهم ليضلوا [286].

والإرادة الإلهية تقضي ضبط هذه الشهوات بضابط الشرع والتغلب عليها بالقيام بالتكاليف، ليتحقق التوازن ولا تطغى على حق الغير، فإذا تغلب جانب التكاليف الشرعية على الشهوات كان ذلك تلبية لنداء الرحمن، وإذا تغلب جانب الشهوات كان ذلك تلبية لنداء الشيطان، كما ذكر ابن الجوزي أن إبليس- أخزاه الله- ظهر ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام، فرأى عليه معاليق من كل شيء، فقال: يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أَرَى عليك ؟، قال: هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء ؟، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك ؟، قال: لا والله، قال: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبدا، قال إبليس: ولله عليّ أن لا أنصح مسلما أبدا [287].

وأعظم شهوة تنزلق عندها أقدام الرجال: شهوة النساء لذا قُدِّمت في الذكر، قال تعالى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ}، وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (حُبب إليّ من الدنيا النساء والطيب) [288].وذلك لكثرة تشوف النفوس إليهن ولعراقتهن في معنى الشهوة.

---

285)صحيح مسلم جـ2174/4.

286) انظر شرح مسلم للنووي جـ687/5.

287) تلبيس إبليس (25).

288) أخرجه النسائي جـ61/7، وصححه الألباني جـ87/3.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) [289].

ثم ثنى على شهوة النساء بشهوة هي من ثمرات النساء وهو حب: {البنين} وفي الحديث: جاء الحسن والحسين يَسعَيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضمهما إليه وقال: (الولد مبخلة مجبنة محزنة) [290].أي: يحمل الإنسان على البخل والجبن ويتسبب في جلب الحزن، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (التغابن 14).

ثم عطف بشهوة جمع المال المنبعث عن النساء والأبناء، بقوله: {والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث} تحقيقا لرغبات الزوجة والأبناء.

وقد فُتِن بجمع المال كثير من الناس – لا سيما في أعقاب الزمان – حتى وإن كان فيه حتفه، فلا يبالي ذهب بالمال أم ذهب المال به، والآية سيقت للتنفير عن الحظوظ النفسانية التي كثيرا ما يقع التنافر أو القتال بسببها، لذا كان الحرص الشره في جمع المال من مكايد الشيطان وحيله.

المطلب الثاني عشر

التلبيـس

قال الراغب: أصل اللبس ستر الشيء، ويقال ذلك في المعاني، يقال: لبَسْت عليه أمره قال تعالى:{وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ}(البقرة 42) وقال تعالى:{ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} (آل عمران 71) [291] أي: لا تَخلِطوا بما هو من عند الله ما ليس منه فيختلط الحق بالباطل، أو لا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم [292]

ومكيدة اللبس أيضا مدخل واسع من مداخل الشيطان، فإذا التبس الحق بالباطل كان ذلك ذريعة أو سببا وطريقا ممهدا لاقتحام المحرمات أو تحريم الحلال والانقياد لمعهود الطبع أو لمستحسنات العقل وقبول أحكامه المجردة دون التحاكم إلى شرع الله كما هو حال الناس

---

289) أخرجه مسلم جـ2097/4.

290)أخرجه ابن ماجه جـ309/2، قال البوصيري: إسناده صحيح، وأحمد جـ172/4.

291)الأصفهاني، مفردات القرآن (735).مرجع سابق.

292)الزمخشري،الكشاف (جـ135/1).

سواء مسلمين أم كفارا حيث انحرفوا عن الجادة بسبب إفراطهم في تحكيم العقل وإقحام الطبع والعادات وإغراقهم في الفلسفة العقلية، فكان من آثار هذا التلبيس أن وُجد كثير من أبناء الإسلام ينافحون عن البدع والخرافات والشرك أشد مِن منافحتهم عن السنة بل كثير منهم يجهلون السنة، مثلهم كمثل المشركين الذين لبّس الشيطان عليهم الحق بالباطل وطريق الهداية بطرق الغواية، فحرموا وحللوا من تلقاء أنفسهم، وتصافحوا وتباغضوا وبذلوا ومنعوا وقاتلوا وقُتِلوا دفاعا عن الأفكار وعن المعبودات من دون الله.

قال الشوكاني: أي زيّن الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم، كان الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كما فعله عبد المطلب [293].

هذه جملة من مكايد الشيطان وحيله وحبائله التي يتطرق إليها عدو الله إبليس لإضلال البشر، نسأل الله اللطف والحماية.

[293]) الشوكاني،فتح القدير(جـ165/2).

obeikan.com